



## 224448 - فتنة الشيطان حال الاحتضار

### السؤال

هل صحيح أن الشيطان قد يحضر الإنسان عند الاحتضار ، حتى يموت الإنسان كافرا وإن كان عمل طول حياته بعمل أهل الجنة ؟

### الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

ذكر الله في كتابه الكريم قسم إبليس اللعين وتوعدهبني آدم بالإضلal والغواية ، وأنه ماض في ذلك إلى يوم القيمة ، لا يترك سبيلا إلا سلكه في سبيل ملء جهنم من ذرية آدم عليه السلام ،

قال تعالى : ( قَالَ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ، ثُمَّ لَا تَنَاهُنُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ، وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ، وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ) الأعراف/16-17 .

يقول ابن جرير الطبرى في "جامع البيان" (5/445) :

" معناه : ثم لاتينهم من جميع وجوه الحق والباطل ، فأصادهم عن الحق ، وأحسن لهم الباطل " انتهى .

والشيطان يحاول أن يستغل مواطن الضعف ، فإذا وجد البلاء قد اشتد على المؤمن ، والكرب قد استحكم ، فإنه يدخل في طريقه ليفسد عليه إيمانه ، فيكون من أهل النار .

ولا شك أن حال الاحتضار حال كرب وشدة ، فسكنات الموت أمرها عظيم وشديد ، وقد واجه النبي صلى الله عليه وسلم منها الشيء العظيم ، حتى كان يقول صلى الله عليه وسلم : ( إِنَّ لِلنَّاسِ لَسَكَرَاتٍ ) رواه البخاري (4449) . ولما عرفت ابنته فاطمة ما يلقاه من شدة قالت : ( وَأَكْرَبَ أَبَاهُ ) رواه البخاري (4461) .

والمظنون أن الشيطان لن يفوت ابن آدم في هذه الحال ، فهي فرصة له .

عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ( إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ ) رواه مسلم (2033) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال إبليس : وعزتك لا أُبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، فقال : وعزتي وجلاي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني ) . رواه أحمد (10974) ، وحسنه الألباني



في " صحيح الترغيب " (1617) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في حياته يسأل الله تعالى ألا يسلط عليه الشيطان عند الموت ، ليعمل المسلمين الحرث على السلامة من فتن الشيطان .

عن أبي اليسر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو :

( اللهم إني أعوذ بك من الهدم ، وأعوذ بك من التردي ، وأعوذ بك من العرق والحرق والهرم ، وأعوذ بك أن يتخطبني الشيطان عند الموت ، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرا ، وأعوذ بك أن أموت لبيغا ) رواه أحمد (3/427) ، وأبو داود (1552) وسكت عنه ، والنسيائي (5531) ، وقال الحاكم في المستدرك (1/713) : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وصححه الألباني في " صحيح أبي داود " .

قال في " عون المعبود " (4/287) :

" ( أن يتخطبني الشيطان ) أي : إبليس أو أحد أعوانه ، قيل : التخبط الإفساد ، والمراد إفساد العقل والدين ، وتخسيصه بقوله ( عند الموت ) ؛ لأن المدار على الخاتمة .

وقال القاضي : أي من أن يمسني الشيطان بنزغاته التي تزل الأقدام وتصارع العقول والأوهام .

قال الخطابي : استعانته عليه الصلاة والسلام من تخطب الشيطان عند الموت ، هو أن يستولي عليه الشيطان عند مفارقته الدنيا ، فيضله ويحول بينه وبين التوبة ، أو يعوقه عن إصلاح شأنه والخروج من مظلمة تكون قبله ، أو يؤيشه من رحمة الله تعالى ، أو يكره الموت ويتأسف على حياة الدنيا ، فلا يرضي بما قضاه الله من الفناء ، والنقلة إلى دار الآخرة ، فيختتم له بسوء ، ويلقي الله وهو ساخط عليه .

وقد روي أن الشيطان لا يكون في حال أشد على ابن آدم منه في حال الموت ، يقول لأعوانه : دونكم هذا ، فإنه إن فاتكم اليوم لم تلحقوه بعد اليوم .

نعود بالله من شره ، ونسأله أن يبارك لنا في ذلك المصير ، وأن يجعل خير أيامنا يوم لقائه " انتهى .

وفتن الشيطان في تلك الساعة فتنه شديدة ، لما يكون عليه المسلم من تعب وكرب ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتبعون منها في دعائهما في كل صلاة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إِذَا تَشَهَّدَ أَهْدُكُمْ فَلَا يَسْتَعِذُ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ : يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ فَتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ شَرِّ فَتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ) رواه البخاري (1377) ، ومسلم (588) .

يقول ابن حجر في "فتح الباري" (2/319) :

" قال ابن دقيق العيد : فتن المحييا ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات ، وأعظمها والعياذ بالله أمر الخاتمة عند الموت ، وفتنة الممات : يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت ، أضيفت إليه لقربها منه ، ويكون المراد بفتنة المحييا على هذا ما قبل ذلك ، ويجوز أن يراد بها فتن القبر " انتهى .



ثانياً :

فتنة الشيطان لل المسلم حال الاحتضار تكون بالوسوسة ، كما هي في حال الحياة .  
ولكن هل ثبتت في السنة ما يدل على أن الشيطان يتمثل بصورة أحد الناس لهذا المحتضر ، فيدعوه إلى النصرانية أو اليهودية ؟

ذكر ذلك بعض أهل العلم في كتبهم :

قال القرطبي في "الذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة" (29-30) :

"روي عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن العبد إذا كان عند الموت قعد عنده شيطانان ، الواحد عن يمينه والآخر عن شماله ، فالذى عن يمينه على صفة أبيه ، يقول له : يا بني ! إني كنت عليك شفيراً ولك محبًا ، ولكن مت على دين النصارى فهو خير الأديان ، والذى على شماله على صفة أمه ، تقول له : يا بني ! إنه كان بطني لك وعاء ، وثديي لك سقاء ، وفخذى لك وطاء ، ولكن مت على دين اليهود وهو خير الأديان ."

ذكره أبو الحسن القابسي في "شرح رسالة ابن أبي زيد" له ، وذكر معناه أبو حامد في كتاب "كشف علوم الآخرة" .

وما ذكره القرطبي ليس دليلاً من الكتاب أو السنة ، إذ لم يثبت حديث في ذلك ، إنما هي روايات يتناقلها بعض أهل العلم في كتبهم ، ليست موجودة في كتب الحديث المعتمدة .

قال الألباني في "السلسلة الضعيفة والموضوعة" (3/645) :

قال السيوطي : لم أقف عليه في الحديث انتهى .

فلا يجوز نسبة ذلك إلى الشرع ، ولا يجوز تخويف الناس به ، ولا القول بأن تمثل الشيطان عند الموت لازم لكل أحد ، فإن الشرع لم يأت بذلك ، إنما الثابت هو الوسوسة ومحاولة الإغواء للتسلط على القدر من شدة الكرب .

وإذا كان ذلك لم يثبت في حديث ، فإننا أيضاً لا نستطيع أن ننفيه ، فإن للشيطان حيلًا كثيرة ، وطرقًا عديدة ، وهو قادر على حضور الإنسان بصور شتى ، وقد يقع ذلك لبعض الناس عند الموت .

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية "مجموع الفتاوى" (4/255) :

عن عرض الأديان عند الموت ، هل لذلك أصل في الكتاب والسنة أم لا ؟

فأجاب : الحمد لله رب العالمين :

أما عرض الأديان على العبد وقت الموت فليس هو أمراً عاماً لكل أحد ، ولا هو أيضاً منتفياً عن كل أحد ، بل من الناس من تعرض عليه الأديان قبل موته ، ومنهم من لا يتعرض عليه ، وقد وقع لأقوام ، وهذا كله من فتنة المحييا والممات التي أمرنا أن نستعيذ منها في صلاتنا ... ولكن وقت الموت أححرص ما يكون الشيطان على إغواءبني آدم ؛ لأنه وقت الحاجة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا نَرَاعٌ، فَيَسِيقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسِيقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا) [رواه البخاري (3208) ومسلم (2643)].  
ولهذا روي : أن الشيطان أشد ما يكون على ابن آدم حين الموت ، يقول لأعوانه : دونكم هذا ! فإنه إن فاتكم لن تظفروا به أبداً



وحكاية عبدالله بن أحمد بن حنبل مع أبيه وهو يقول : ( لا بَعْدُ ، لا بَعْدُ ) مشهورة " انتهى .

وقد وقع ذلك لبعض الصالحين :  
يقول القرطبي رحمه الله "الذكرة" (30) :

" قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حضرت وفاة أبي - أحمد - وبيدي الخرقة لأشد لحييه ، فكان يعرق ثم يفيق ويقول بيده : لا بعد ، لا بعد . فعل هذا مراراً !! فقلت له : يا أبى أى شيء ما يبدو منك ؟ فقال : إن الشيطان قائم بحذائي عاض على أنامله يقول : يا أحمد فتنى ، وأنا أقول : لا بعد ، لا حتى أموت .

قلت : وقد سمعت شيخنا الإمام أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي بشفر الإسكندرية يقول : حضرت أخا شيخنا أبي جعفر أحمد بن محمد بن محمد القرطبي بقرطبة وقد احتضر . فقيل له : قل : لا إله إلا الله ، فكان يقول : لا . لا . فلما أفاق ذكرنا له ذلك فقال : أتاني شيطاناً عن يميني وعن شمالي . يقول أحدهما : مت يهودياً فإنه خير الأديان ، والآخر يقول : مت نصراانياً فإنه خير الأديان ، فكنت أقول لهما : لا ، لا " انتهى .

ثالثاً :

إذا عرف المسلم عظيم أمر فتنة الممات عند الاحضار ، وأنه على موعد مع كرب عظيم ، استعد لذلك اليوم ، وتزود من العمل الصالح ، ورجى أن يكتب الله له حسن الخاتمة ، فإن الله تعالى يحمي عبده المؤمن ، وإذا رأى منه صدق القلب والمحبة ، عصمه من المزلة ، وصرف عنه الغواية ، فلا يظنن أحد السوء بالله تعالى ، فهو عدل كريم ، لا يخذل عبده المؤمن ، وحرم على نفسه الظلم ، فلا تجد ، إن شاء الله ، من يفتنه الشيطان في مثل هذه المواقف إلا من كان معرضًا عن الله ، ومقبلاً على الشيطان ، فذلك هو الذي يتباهي الشيطان عند الموت ، كما تتباهي في الحياة .

يقول ابن القيم في "الجواب الكافي" (62) :

" فكيف يوفق لحسن الخاتمة من أغفل الله سبحانه قلبه عن ذكره ، واتبع هواه وكان أمره فرطا ، فَبَعِيدٌ مَنْ قَلْبُهُ بَعِيدٌ من الله تعالى ، غافل عنه ، مُتَعَبِّدٌ لهواه ، مُسَيَّرٌ لشهواته ، ولسانه يابس من ذكره ، وجوارحه معطلة من طاعته مشغولة بمعصية الله ، أن يوفق لحسن الخاتمة " انتهى .  
والله أعلم .